

البداية والنهاية

الأشدق فاستشاره عمرو فى الذهاب إليه فقال له يا أبا سعيد وا   لأنت أحب إلى من سمعى وبصرى وأرى أن لا تأتیه فان تبیعا الحمیری ابن امرأة كعب الأحبار قال إن عظیما من عظماء بنى إسماعیل یغلق أبواب دمشق فلا یلبث أن یقتل فقال عمرو وا   لو كنت نائما ما تخوفت ان ینبهنى ابن الزرقاء وما كان لیجتراء على ذلك منى مع أن عثمان بن عفان أتانى البارحة فى المنام فألبسنى قمیصه وقال عمرو بن سعید أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشیة إن شاء الله   فلما كان العشی یعنی بعد الظهر لبس عمرو درعا بین ثیابه وتقلد سیفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره إنا لا نرى أن لا تأتیه فلم یلتفت إلى ذلك ومضى فى مائة من موالیه وكان عبد الملك قد أمر بنى مروان فاجتمعوا کلهم عنده فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن یدخل وأن یحبس من معه عند كل باب طائفة منهم فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذى فیه عبد الملك ولم یبق معه من موالیه سوى وصیف فرمى ببصره فاذا مروان عن بكرة أبیهم مجتمعون عند عبد الملك فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصیف فقال له همسا ویلك انطلق إلى أخی یحیی فقل له فلیأتنى فلم یفهم عنه وقال له لیبك فاعاد علیه ذلك فلم یفهم أیضا وقال لیبك فقال ویلك أغرب عنى فى حرق الله   وناره وكان عند عبد الملك حسان بن مالك ابن بحدل وقبیصة بن ذؤیب فأذن لهما عبد الملك بالانصراف فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السریر ثم جعل یحدثه طویلا ثم إن عبد الملك قال قال یا غلام خذ السیف عنه فقال عمرو إنا   یا امیر المؤمنین فقال له عبد الملك أوتطمع أن تتحدث معى متقلدا سیفك فأخذ الغلام السیف عنه ثم تحدثا ساعة ثم قال له عبد الملك یا أبا أمیة قال لیبك یا أمیر المؤمنین قال إنك حیث خلعتنى آلیت بیمینى إن ملأت عینی منك وأنا مالك لك أن أجمعك فى جامعة فقالت بنو مروان ثم تطلقه یا أمیر المؤمنین فقال ثم أطلقه وما عسیت أن أفعل بأبى أمیة فقال بنو مروان بر یمین أمیر المؤمنین فقال عمرو بر قسمك یا أمیر المؤمنین فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال یا غلام قم فاجمعه فیها فقام الغلام فجمعه فیها فقال عمرو أذكرک الله   یا أمیر المؤمنین أن تخرجنى فیها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمکرا یا أبا أمیة عند الموت لاها الله   إذا ما كنا لنخرجک فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك إلا صعدا ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السریر فكسر ثنیته فقال عمرو أذكرک الله   أن یدعوك كسر عظمى إلى ما هو أعظم من ذلك فقال عبد الملك والله   لو أعلم أنك إذا بقیت تفى لى وتصلح قریش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان فى بلد قط على ما نحن علیه إلا أخرج أحدهما صاحبه وفى رواية أنه قال

له أما علمت يا عمرو وأنه لا يجتمع فحلان